مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

العدد الحادي عشر مجلة اسلامية . ثقافية . تصدر سنويًا

1423 من ميلاد الرسول ﷺ الموافق 1994 ميلادية

الاستغفار

الساعُ علي حسن

الاستغفار طلب المغفرة فهو استفعال من غفر بمعنى ستر ومنه الغفور والغفار من أبنية المبالغة ـ الله عز وجل وأصل الكلمة للدلالة على التغطية والستر.

قال الشاعر:

في ظل من عنت الوجوه له... ملك الملوك ومالك الغفر

ومن هذا المعنى قول عمر في تحصيب المسجد هو أغفر للنخامة أي أستر. ويقال غفر الشيب بالخضاب غطاه. والمغفرة خرقة توقي بها المرأة خمارها من الدهن.

ويسمون ما يكون على الرأس تحت بيضة الحديد مغفراً قال الشاعر:

حتى اكتسيت من المشيب عمامة... غفراء أغفر ثوبها بخضاب

وأنشد سيبويه:

استغفر الله ذنباً لست محصيه... رب العباد إليه القول والعمل

والمغفر، والمغفرة، والغفارة: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة، وقيل هو رفرف البيضة، وقيل هو حلق يتقنع به المتسلح[1].

---

(1) انظر لسان العرب لابن منظور 5/ 25 ط/ دار صادر بيروت ترتيب القاموس الطاهر الزاوي 3/ 405 ط/ الدار العربية للكتاب المغرب/ المطرزي ص 341 ط/ دار الكتاب العربي معجم مقاييس اللغة/ لابن فارس ت ع هارون 4/ 385 ط/ دار الفكر.

أساس البلاغة/ الزمخشري ص 453 ط/ دار صادر.

وبعض الدراسات الحديثة تتابع بعض كتب اللغة في الاقتصار على الستر كمعنى لغوي للكلمة[2].

ويرفض ابن القيم هذا الفهم يروىٰ أن الاستغفار: «هو طلب محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره، لا كما ظن بعض الناس أنها الستر فإن الله يستر من يغفر له ومن لا يغفر له، لكن الستر لازم مسماها، أو جزؤه، فدلالتها عليه إما بالتضمين، وإما باللزوم، وحقيقتها وقاية شر الذنب، ومنه المغفر لما يقي الرؤوس من الأذى والستر لازم لها وإلا فالعمامة لا تسمى مغفراً[3].

والراغب يوفق بين المعنى اللغوي والمقصد الشرعي الذي توخاه ابن القيم بقوله «الغفر لباس ما يصونه عن الدنس، ومنه قيل اغفر ثوبك في الوعاء، واصبغ ثوبك فإنه أغفر للوسخ».

والغفران من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب[4].

والاستغفار الصادق والتوبة يشتركان في طلب إزالة ما لا ينبغي إلا أن الاستغفار طلب من الله إزالة آثار الذنب وصون المستغفر من عذاب الله، والتوبة سعي من الإنسان في إزالته[5].

والاستغفار الذي حث عليه الأنبياء والمرسلون هو ذلك الذي يصدق فيه الفعل ما ينطق به اللسان، أما مجرد النطق فهو توبة الكذابين كما قيل.

ولهذا قالت رابعة العدوية «استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير» فهي لا تذم حركة اللسان من حيث أنه ذكر الله، بل تذم غفلة القلب... فإن سكت عن الاستغفار باللسان احتاج إلى استغفارين لا إلى استغفار واحد[6].

الحكم التكليفي للاستغفار:

لا خلاف بين الفقهاء في أن الاستغفار مطلوب على سبيل الندب في

---

(2) موسوعة جمال عبد الناصر للفقه الإسلامي 7/ 142.

(3) مدارج السالكين/ ابن قيم الجوزية 1/ 307 ت محمد حامد الفقي ط/ دار الكتاب العربي.

(4) المفردات في غريب القرآن/ الراغب الأصفهاني ص 462 ط/ دار المعرفة.

(5) انظر الموسوعة الفقهية الكويتية 4/ 35.

(6) إحياء علوم الدين/ أبو حامد الغزالي / 4/ 2157 ط دار الكتاب العربي.

أوقات كثيرة، وقد يكون واجباً كالاستغفار من المعصية، وقد يحرم كالاستغفار للكفار لقوله تعالى: ﴿**وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه**﴾.

وقد أثنى الله على المستغفرين بقوله: ﴿**والمستغفرين بالأسحار**﴾ [آل عمران: 17] وقوله: ﴿**وبالأسحار هم يستغفرون**﴾[7] [سورة الذريات: 18].

وقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما صلى رسول الله ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه سورة ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح**﴾ [سورة الفتح: 1].

إلا يقول: «سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي».

وعنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي «يتأول القرآن»[8] وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث الزبير: «من أحب أن تسره صحيفته فليكثر من الاستغفار».

دعاء وتوبة وعبادة:

استغفر الله، هي دعاء بأن يتجاوز الله عن التقصير، ويمحو آثاره ويستر عواره، وعزم من العبد على عدم الإصرار على المعاصي والاستسلام للهوى وإخلاص العبادة لله وحده.

لذلك قال هود عليه السلام لقومه: ﴿**يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين**﴾ [سورة هود: 52].

وقال نوح معدداً معالجته لعصيان قومه: ﴿**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً**﴾ [سورة نوح: 10 ـ 12].

---

(7) موسوعة جمال عبد الناصر والموسوعة الكويتية وتفسير القرطبي 2/ 1281 ط/ كتاب الشعب.

(8) المصدر السابق 8/ 7321.

وقال محمد: **﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤتِ كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾** [سورة هود: 3].

ويلاحظ أن طلب الاستغفار في هذه الآيات ربط به جزاؤه ارتباط السبب بمسببه وجزم الجزاء في جواب الطلب، فالاستغفار سبب في نزول الغيث وزيادة القوة، والمال، والبنين، وإيتاء كل ذي فضل فضله.

قال الشعبي خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فأمطروا فقالوا: ما رأيناك استسقيت.. فقرأ الآية (من سورة نوح).

الدعاء هل يغير القضاء السابق؟

يرى البعض أن ما قدره الله كائن لا محالة، وقد رفعت الأقلام وجفت الصحف ويجد من الآيات والأحاديث ما يؤكد به رأيه، وإن الدعاء لا يغير من المقدر شيئاً، ولذلك يقال: ما فائدة الدعاء والاستغفار وغيره من الأسباب.

وقد ناقش العلماء هذه النقطة بما لا مزيد عليه ومنه هذه الفقرة من كلام الإمام الشوكاني حيث قال: «احمل أحاديث الفراغ من القضاء على عدم تسبب العبد بأسباب الخير أو الشر، واحمل الأحاديث الأخرى على وقوع التسبب من العبد.. وليس في ذلك خلف لما وقع في الأزل ولا مخالفة لما تقدم به العلم بل هو تقييد المسببات بأسبابها، ولا يشك من له اطلاع على ما اشتمل عليه القرآن من ترتيب حصول المسببات على حصول أسبابها ومن ذلك قوله: **﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾**، **﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً﴾** ثم يقال لهم أيما فائدة لأمره عز وجل لعباده بالدعاء بقوله:

﴿ادعوني أستجب لكم﴾ ثم عقب ذلك بقوله: **﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾** (أي دعائي) ووعيده لمن تركه وجعله مستكبراً... فإذا كان ذلك لا فائدة فيه ولا ينال العبد إلا ما قد سبق به القضاء فعل الدعاء أو لم يفعل فقد نسبوا إلى الله ما لا يجوز ولا تحل نسبته إليه بإجماع المسلمين فإنه عز وجل

لا يأمر إلا بما فيه فائدة للعبد إما جلب نفع أو دفع ضرر» ولمزيد من المعرفة انظر المصادر التالية[9].

(9) انظر:

أ ـ قطر الولي/ محمد بن علي الشوكاني ص 508 وما بعدها ت د. إبراهيم هلال ط دار إحياء التراث العربي.

ب ـ تحفة الذاكرين/ لنفس المؤلف ص 20، 21، 22، 253.

ج ـ إيثار الحق على الخلق/ محمد بن المرتضى المشهور بابن الوزير ص 258 ط/ دار الكتب العلمية.

د ـ مدارج السالكين 2/ 118 وما بعدها.